

القراءة الصحيحة : واقع وافاق

بقلم الأستاذ: عبد الناصر عباس

أستاذ المعهد الإسلامي لتكوين الاطارات الدينية، عين صالح

— مقدمة

— مدخل حول علم القراءات.

— أولا: التعريف بالقراءة الصحيحة.

— لغة اصطلاحا القراءات المجمع على صحتها.

ثانيا: واقع القراءة الصحيحة تعلمنا وتعليمنا وأداء.

1- في الزوايا والمدارس القرائية

2- في المدارس النظامية.

3- في الجامعات والمعاهد الإسلامية.

4- في المساجد.

ثالثا: آفاق القراءة الصحيحة من خلال جملة من المقترحات.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله وسلم

على رسول الله النبي الأمي الهادي إلى الحق وإلى صراط مستقيم تسليما كثيرا طيبا مباركا فيه إلى يوم الدين. يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَرَبِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل : ٤ ويقول ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

ومقتضى تعلم القرآن وتعليمه أن نكتبه كتابة صحيحة موافقة لما جاء في المصحف الشريف كما وجب أن نقرأه ونقرئه الناس قراءة صحيحة موافقة لما قرأ به رسول الله ﷺ.

ومن ثمة : هل نحن اليوم نقرأ القرآن قراءة صحيحة في صلاتنا وأورادنا؟، ثم هل نحن اليوم قائلون على تعليم القرآن للناشئة من أبنائنا تحفيظا وترتيلا؟ من هذا المنطق جاءت هذه المحاضرة بعنوان " القراءة الصحيحة واقع وافاق " من

خلالها أسعى محاولا الإجابة على الأسئلة المطروحة متبوعة ببعض الاقتراحات للارتقاء بقراءة القرآن إلى مستواها الصحيح، والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم.

مدخل حول أهمية القراءات:

لا يكاد يوجد علم من العلوم العربية بل الشريعة إلا وتعتبر القراءات رافدا من روافده، فهذا علم النحو وعلم الصرف، وهذه علوم البلاغة، وهذه كتب المعاجم اللغوية يشكل القرآن بقراءته أصلا أصيلا وركنا ركينا فيها. وهل نهضت علوم العربية إلا بالقرآن وعلومه؟.

قال الشيخ سعيد الأفغاني عالم بالنحو وله مصنفات وتحقيقات منها كتابه " في أصول النحو " متحدثا عن القرآن الكريم " : هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف، وعلوم البلاغة وقراءته الواصلة إلينا بالسند الصحيح حجة لا تضاهيها حجة.

أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك، إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء

التابعين وهم جميعا من يحتج بكلامهم العادي بله قراءتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله ﷺ، ولا تنس بعد ذلك أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحزمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضا.

وقد جرى عرف العلماء على الاحتجاج بروايته " أي القرآن ".

يقول الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة رحمه الله عالم بالنحو والصرف صاحب كتاب " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " : " القرآن الكريم حجة في العربية في قراءاته ...، كما هو حجة في الشريعة ".

وإذا كان هذا شأن القرآن والقراءات في تلك العلوم، فإن شأنهما في الشريعة وعلومها أعظم وأفخم، فالقرآن الكريم وقراءاته الصَّحيحة مع السنة النبوية هما مصدر الشرع في العقائد والأحكام.

والمفسر للقرآن الكريم لا بد له من تعلم القراءات إذا أراد بيان معاني القرآن الكريم، لأنه بالقراءات ينكشف من معاني الآية ما لا ينكشف بالقراءة الواحدة،

وقارئون فالقراء مصدر من قول القائل : قرأت الشيء إذا جمعته وصممت بعضه إلى بعض، كقولهم: ما قرأت الناقة سلى قط، يريدون بذلك أنها لم تضم رحماً على ولد.

وقال ابن منظور: ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً أي ألقيته.

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَغْ قُرْآنَهُ﴾ والقيامة: ١٨ أي قراءته، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بينناه لك.

2- اصطلاحاً: اتفق العلماء على أن كل قراءة وافقت العربية ووافقت أحد المصاحف العثمانية وصحّ سندها إلى رسول الله ﷺ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز مخالفتها ولا يحل إنكارها لقراءة الرسول ﷺ بها، وهذه هي القراءة المقطوع بتواترها.

3- القراءات المجمع على صحتها: قال الإمام ابن الجزري - رحمه الله - في "منجد المقرئين" والذي جمع في زماننا هذا، الأركان الثلاثة هو قراءة

وبالقراءات يترجح لديه بعض الوجوه المحتملة على بعض في معاني، القرآن، وبهما يعرف كيفية النطق بالقرآن وكيفية الأداء وما فيه من إعجاز ليس فقط في نظمه ومعانيه بل في تركيب الألفاظ وحروف الكلم.

وهذه المعاني في تفسير آيات القرآن الكريم من شأنها أن تفيد الفقيه في فهمه لنصوص القرآن الكريم واستنباط الأحكام الشرعية منها.

قال الشيخ عبد الملك القسطلاني المصري المقرئ المحدث: "لم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى".

ولما كانت القراءات بهذه المثابة احتاج المرأ إلى تعريف القراءات وبيان الصحيح منها من غيره.

أولاً: التعريف بالقراءة الصحيحة:

1- لغة: القراءة جمعها قراءات ومادة "قرأ" تدور في لسان العرب حول معنى الجمع والاجتماع. والقراءة من قرأ، قراءة وقرآنا فهو قارئ وهم قراء

أحكام". "في تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم".

ثانيا: واقع القراءة الصحيحة تعلمًا وتعليمًا وأداءً:

إنه إذا ما أردنا التعرف على واقع قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة مبنية على قواعد وأحكام أقرها علماء القراءة بيانا وضبطا ورواية كما ثبت عن رسول الله ﷺ يجدر بنا أن نتلمس تفاصيل ذلك كله في مؤسساتنا التربوية والتعليمية والدينية.

1- في الزوايا والمدارس القرآنية:

ففي الزوايا والمدارس القرآنية، وهي أولى المؤسسات التي تُعنى بتدريس القرآن الكريم وتحفيظه نجد أن الهدف البيداغوجي بها يتوجه إلى اكتساب التلميذ أو الطالب معرفة تبني بالأساس على عملية الحفظ للمادة المعرفية "القرآن الكريم" بطريقة تقليدية تركز على القراءة المتكررة لما كتب على اللوح بوتيرة سريعة أو تميل إلى السرعة، وهو ما يتنافى وإعطاء الحروف حقها

الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقول وهم: أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وابن عامر، وعاصم، وحزمة والكسائي، وخلف أخذهما الخلف عن السلف إلى أن وصلت إلى زماننا.

ثم يقول: فقراءة أحدهم كقراءة الباقيين في كونها مقطوعا بها، وكل قراءة خالفت أركان القراءة الصحيحة فهي غير مقبولة لأنها غير مجمع عليها.

فالصحابة رضوان الله عليهم الذين قرأوا على رسول الله ﷺ وحفظوا ما سمعوه منه، قراءتهم مقبولة عند الجميع مادام القارئ يقرأ كما سمع، وما دامت القراءة تنسخ بالعرضة الأخيرة، وأجمع الصحابة على ثبوت هذه القراءة بصحة سندها إلى رسول الله ﷺ.

أما ما كان يقرأ ويلحن في العربية فقراءته مردودة غير مقبولة لعدم الإجماع عليها.

وقد ورد عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: "سمع النبي ﷺ رجلا قرأ، فلحن، فقال رسول الله ﷺ: "أرشدوا

على هذه المؤسسات في منهجها وطريقة تدريسها هو خلو العملية التعليمية بها من عنصر أساسي وجوهري أولا وهو الجانب التطبيقي وإن وجد فلا يفي بالغرض، وهو الذي يكتسب التلميذ أو الطالب من خلاله عمليا قراءة القرآن قراءة صحيحة وفقا لقواعد التجويد وأحكامه التي يكون قد تلقاها سماعا ومشاهدة من معلمه ومدرسه.

وإذا ما جئنا للتقريب والبحث عن أسباب غياب الجانب التطبيقي من عملية تعليم القرآن الكريم نجد منها:

1- توجه الهدف في تعليم القرآن الكريم بهذه المؤسسات "الزوايا والمدارس القرائية" إلى الحفظ القائم على التخزين الذي يشغل ذاكرة المتعلم وكذا وقته، حيث نجده يردّد قاعدا وقائما ما حفظه أو ما يريد حفظه لأن المعيار في الأخير مبني على الكم لا على الكيف، بدليل سؤال كم تحفظ؟ وليس كيف تحفظ؟

2- أن جل الوقت بهذه المؤسسات مخصّص لتعليم القرآن كتابة وحفظا وبعضه الآخر قد يوجه لتدريس بعض

ومستحقها، وحق الحرف أن تخرجه من مخزجه الصحيح، ومستحقه أن تلحق به الصفات اللازمة له كهمس المهموس وجهر المجهور وغيرها، هذا فضلا عن المدود التي تسقط في الإسراع بالقراءة، وكذا مواطن الوقف التي تتجاوز لذات السبب، وفي كل هذا التلميذ أو الطالب على جهل بأحكام التجويد التي تمكنه من الأخذ بزمام القراءة الصحيحة، وإن كان على معرفة بها فمعرفة نظرية بحتة لا ترقى إلى تحقيق الغاية المرجوة منها لأن كثيرا ما تكون تلك المادة النظرية عبارة عن متون تُلقّن للتلميذ أو الطالب ليحفظها وأن زيد على ذلك فحظه أن يعرف تلك الأبيات التي حفظها، من خلال الشرح الذي يتلقاه من معلمه ومدرسه، وهنا تنتهي المسألة، ويخلص التلميذ أو الطالب إلى نتيجة مفادها تحصيل بعض القرآن أو كله حفظا خاليا من الأحكام الواجبة له حين الأداء بلسان القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَرَقِلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ المزمّل : ٤.

ومن هذا المنظور فإن الذي يؤخذ

مسائل الفقه المتعلقة بالعبادات وغيرها، وكذا تفسير بعض آيات القرآن الكريم وشرح بعض السنة والحديث الشريف، ويغيب في كثير من الأحيان في ذلك كله تعليم أحكام التجويد وتلقينها.

3- كون بعض القائمين على عملية التعليم بهذه المؤسسات هم أنفسهم يفتقدون قواعد أحكام التجويد بحكم أنهم خريجو نفس المؤسسات وتلقوا تعليمهم بالطريقة نفسها ومن ثمة يعسر عليهم إعطاء شيء لم يمتلكوه.

وهذا كله لا يلغي بعض الاجتهادات الخاصة التي أثمرت نتائجها وآتت أكلها لدى بعض من استطاعوا أن يقيموا نماذج جيدة وناجحة تكفل تعليم القرآن الكريم وتدرسه حفظاً وترتيلًا.

2- في المدارس النظامية بمختلف

أطوارها:

أما عن واقع القراءة الصحيحة في المدارس النظامية من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية حيث يقضي التلميذ اثنتي عشرة سنة تخلو كلها خلوا تاماً من مادة

تعليمية ترتبط بقراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وفقاً لأحكام التلاوة، حيث إن مناهج التدريس في الأطوار الأولى تهدف إلى اكتساب التلميذ جملة من المعارف ترمي إلى تحفيظه بعضاً من قصار السور أو الآيات دون مراعاة للأحكام، بالإضافة إلى تحفيظه بعض الأحاديث، وكذا تلقينه بعض الآيات والسلوكات والأخلاق، وذلك من خلال مادة التربية الإسلامية ثم ترتقي هذه المادة في الطور الثانوي لتكون مادة علمية هي مادة العلوم الإسلامية في المستوى الأول، يدرس التلميذ خلالها شيئاً من الفقه والتفسير والحديث، ثم ترتقي أكثر في مستوى الثانية، الثالثة ثانوي لتكون تخصصاً من خلال شعبة العلوم الشرعية حسب المنظومة القديمة والتي ما يزال بعضها سائر المفعول إلى نهاية هذا الموسم "2006-2007".

حيث يتوسع التلميذ شيئاً ما في تحصيل العلوم الشرعية فيدرس الفقه بشقيه جانب العبادات وجانب المعاملات، وينال حظاً مهماً من علم

المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية. ذلك أن وظيفة هذه المؤسسات تقتضي تزويد الطالب المتعلم بها تكويناً يؤهله لأداء وظيفة في المجتمع كمعلم أو أستاذ أو إمام، خاصة إذا ما تعلق الأمر بهذه الأخيرة كونها تعتمد بالأساس على الجانب الأدائي بالقراءة أثناء الصلوات، ومن ثمة فإن الطالب بهذه المؤسسات يتهيأ علمياً ومعرفياً لخوض غمار العمل الميداني الذي يجب عليه إتقانه لاسيما إذا تعلق الأمر بشعيرة تعبدية مثل الصلاة.

هذا، ويبقى مستوى التأهيل نسبياً نوعاً ما، بحكم حاجة المادة التعليمية "أحكام التجويد" إلى حجم ساعي أكبر لإعطاء الجانب التطبيقي الأدائي العناية اللازمة، في مقابل عدد المتعلمين الذين لا يملك الجزء الأكبر منهم دراية مسبقة بالأحكام لأسباب سبق ذكرها. وهو ما يصعب المهمة على المكونين والملقين، يضاف إلى ذلك خلو العملية التعليمية من اعتماد الوسائل والأدوات المساعدة المعروفة "أجهزة الإعلام الآلي، أشرطة، أقراص..." كما يسجل ضمن المعوقات

الفرائض وتقسيم التركات، كما يتعرف على مناهج التفسير وبعض المفسرين ويطرق بعض المواضيع في هذا الباب، والأمر نفسه بالنسبة للحديث الشريف كما يدرس العقيدة، وشيئاً من النظم الإسلامية و المقاصد الشرعية، وأصول الفقه، ويسقط في كل هذا باب القراءات مُسَجَّلاً غيابهُ الكلي من المنظومة التربوية والتعليمية بمختلف أطوارها ومراحلها، والتي كان يمكن برجمة بعض المباحث المهمة ضمنها حتى يتمكن التلميذ على الأقل من قراءة ما تيسر له حفظه من القرآن قراءة سليمة خالية من اللحن.

3- في الجامعات والمعاهد الإسلامية:

أما عن حفظ القراءة الصحية تعلماً وتعليماً ضمن مؤسسات التعليم العالي ونعني بذلك كليات الشريعة التي تدرس العلوم الإسلامية بمختلف صنفها وفنونها، نجد فن التلاوة جزءاً لا يتجزأ من المنظومة التعليمية بها منهجاً وطريقة تدريس ومزاوجة بين التلقين النظري والتطبيقي، والأمر نفسه ينطبق على مؤسسات التكوين الديني وأقصد بذلك

أنزل، فتشفى به صدورهم وترقى به نفوسهم في مدارج الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: ٨٢.

وقال أيضا: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ ثم ألم يكن النبي ﷺ يحب أن يسمع القرآن من غيره وهو خير من نطق بلغة الضاد؟.

لكن هيهات أن تكون كل مساجدنا على تلك الحال من العمارة والخشوع والأجواء الإيمانية، حيث إن كثيرا من المساجد حالها قبل رمضان وفي رمضان سواء أو لا يكاد يختلف كثيرا، والسبب في ذلك راجع لقراءة الإمام بالدرجة الأولى والأمر نفسه ينطبق على الصلوات الأخرى الجمعة والخمسة المكتوبة. وعليه فإن القراءة قد تكون عامل تنفير ما لم تكن صحيحة سليمة خالية من اللحن، وكان يفترض أن تكون أداة دعوية لدى الإمام والداعية يُقَوِّمُ بها ما أعوج، ويكثر بها سواد المسلمين، ويعرض من خلالها الإسلام في أبهى صورهِ الربانية جمالية وحسنا، وفي أرقى ما يكون عليه القرآن

والعراقيل ضالة الإحساس لدى بعض المتعلمين. بمكانة الأحكام وأهميتها من قراءة القرآن الكريم، إذ الحرص والرغبة في نهاية الأمر هما مدار التحصيل ونيل المراد.

4- في المساجد:

وإذا ما جئنا للتعرف على واقع القراءة الصحية في المساجد والتي تعتبر الإطار العملي الميداني لما تنتجه المؤسسات التربوية والتعليمية والتكوينية التي سبق ذكرها، يظهر ذلك جليا من خلال الصلوات الخمس لاسيما الجهرية منها، وصلاة الجمعة، وصلاة التراويح في شهر رمضان، هذه الأخيرة التي يحرص كثير من الناس على أدائها في المسجد تحصيلًا للأجر والثواب وفضل سماع القرآن الكريم كاملا خلال الشهر الفضيل، فنجدهم يتأهبون مسبقا بالسؤال عن سيقراً ومن سيصلي بالناس، تدفعهم في ذلك الفطرة السليمة إلى سماع كلام الباري جل وعلا، والخيار بعد ذلك يقع على من يخاطب عقولهم وأفئدتهم بالقرآن، ويطرب آذانهم به غضا كما

في أسرارهِ ومعجزاته.

ثالثاً: آفاق القراءة الصحيحة

إن الحديث عن آفاق مسألة ما واستشراف مستقبلها لابد له ابتداء من تشخيص واقعها وهو ما أسلفنا فيه القول بالنسبة للقراءة والتلاوة، ثم أن نعمد إلى تثمين ما هو موجود وصحيح مما يخدم الغاية، وبعدها نسجل بعض المقترحات للنهوض بقراءة القرآن وتحفيظه، وفي هذا الصدد ينبغي أن نشجع ونثمن دور كليات الشريعة والمعاهد الإسلامية فيما تقوم به من عمل محاولة تخريج الكفاءات ممن يقوم على شؤون الدين بتعليمه، والدعوة إليه، وممارسة شعائره، وإشاعة فضائله في المجتمع، يضاف إليهم أصحاب الجهود الخاصة الذين يجتهدون ما وسعهم الأمر في خدمة كتاب الله جلّ وعلا.

ولضمان أفق جيد ومستقبل واعد نسجل ما يلي:

1- إيلاء العناية اللازمة لعلم القراءات وفق التلاوة من خلال تحسيس المتعلمين بصفة خاصة والناس بصفة عامة لأهميته من قراءة القرآن الكريم.

2- إدراج مادة التجويد ضمن منظومة مؤسساتنا التربوية والتعليمية وإعطائهما ما تستحق من الحجم الساعي وكذا تسخير الإمكانيات المادية البشرية من كفاءات ووسائل تدريس، وهنا ينبغي التنويه بأول بادرة للمنظومة التربوية الجديدة في الطور الثانوي، وهي اعتماد المباحث الأولى من علم التجويد والمتعلقة أساساً بمخارج الحروف وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة ضمن برنامج مادة العلوم الإسلامية للسنة الثانية، على أمل أن يتممه برنامج السنة الثالثة الذي يدخل حيز التنفيذ الموسم المقبل.

3- النزوع نحو التخصص في علم القراءات وفن التلاوة بغرض الإجابة والإتيان، وفي هذا ينبغي التنويه كذلك بالمعهد الإسلامي لتكوين الإطارات الدينية المتخصصة في القراءات بالعاصمة.

أيضاً تم فتح مجال التخصص في علم القراءات في مستوى الدراسات العليا بعد التدرج بكلية الشريعة بباتنة.

على الوجه الصحيح حتى تتحقق فينا وصية رسول الله ﷺ: «تركتم فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي». وقوله أيضا: «افروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه».

المراجع

- القرآن الكريم.
- أثر القراءات في الفقه الإسلام، د. صبري عبد الرؤوف، محمد عبد القوي.
- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول.

4- إعادة الاعتبار لنظام الحوزات والخلق التي تهتم بعلم التجويد والإقراء على الأقل في كبريات المساجد، وهو نظام يقوم على التلقين مشافهة وسماعا كما هو معمول به في المشرق العربي، وقد أثبت نجاعته بدليل خريجه الذين يمتلكون إجازات في القراءة والإقراء.

5- استقطاب أصحاب المواهب ورعايتهم منذ الصبا، وكذا تشجيع الكفاءات البارعين في هذا الفن، وتحفيزهم ماديا ومعنويا. يمثل ما هو واقع من خلال مسابقة الجوائز الدولية، والأسبوع الوطني للقراء الكريم.

6- العمل على الاستفادة من كل ما هو متاح ويخدم القراء الكريم علما وآداء من فضائيات وبرامج متخصصة وغيرها.

خاتمة:

إذا كان لابد من خاتمة أختتم بها الكلام عن أقدس وأجل كتاب، فإنما هي دعوة ملحة للعناية بقراءة القراء الكريم